مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

منظمات الصليب الأحمر وحرب الريف
اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومنظمة الصليب الأحمر الإسباني

محمد عبد المومن
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
باحث دكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة عبد المالك السعدي – المملكة المغربية

مُلَخّص

أثارت المآسي الإنسانية وقعت خلال حرب الريف وخصوصًا قضية الأسرى، انتباه الرأي الأوربي، مما دفع اللجنة الدولية للصليب الأحمر وعدد من المنظمات الإنسانية إلى محاولة التدخل. لكنها اصطدمت بالعراقيل التي وضعتها السلطات الفرنسية والإسبانية، لينحصر عملها في النهاية على مدينة طنجة ذات النظام الدولي. ورغم أن اللجنة الدولية، والمنظمات المهتمة، لم تستطع القيام بإجراءات فعالة، باستثناء الضغط على الحكومتين الفرنسية والإسبانية، إلا أن حرب الريف شكلت منعطفًا حاسمًا في تاريخ العمل الإنساني، حيث وضعت على المحك اتفاقية جنيف واتفاقيتي لاهاي الأولى والثانية، لأن الأمر كان يتعلق بسكان منطقة مستعمرة. من جانب آخر عززت منظمة الصليب الأحمر الإسباني من وجودها في المغرب، ووفرت إمكانيات مادية وبشرية مهمة لكن خدماتها ظلت حكرا على الجنود الإسبان. وقد توصلت الدراسة إلى أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومعها العديد من المنظمات الإنسانية، حاولت مد يد المساعدة للمغاربة ضحايا الحرب، لكنها اصطدمت بتعنت السلطات الإسبانية والفرنسية، التي منعتها من القيام بأي تدخلات في المنطقتين الإسبانية والفرنسية، ليقتصر نشاطها في منطقة طنجة الدولية، التي كان سكانها المغاربة اللاجئون والأصليون في حالة يُرثى لها . أما منظمة الصليب الأحمر الإسباني، التي كان لها حضور قوي في الميدان بفضل ما توفرت عليه من إمكانيات مهمة، فقد اقتصر عملها على إسعاف ومعالجة جرحى ومرضى الجيش الإسباني ومعالجتهم، في حين لم تحظ بثقة المغاربة ولم توفر لهم أدنى مساعدة.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠٦ مايو ٢٠٢٤
تـاريخ قبـول النشـر: ٣١ مايو ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

حرب الريف؛ العمل الإنساني؛ اللجنة الدولية للصليب الأحمر؛ الصليب الأحمر الإسباني؛ ضحايا النزاعات المسلحة.

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.375548

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

محمد عبد المومن. "منظمات الصليب الأحمر وحرب الريف: اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومنظمة الصليب الأحمر الإسباني".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد الخامس والستون؛ سبتمبر ٢٠٢٤. ص ١٩٨ – ٢٠٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: dream-way@hotmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تعتبر حرب الريف من بين أهم الحروب الاستعمارية خلال القرن العشرين، بالنظر إلى تبعاتها التي تجاوزت النطاقين المحلي والإقليمي، وبالنظر أيضًا للعديد الكبير من الجنود الذي شاركوا في معاركها حيث تجاوز العدد مئات الآلاف من المغاربة، والإسبان، والفرنسيين، دون أن ننسى المرتزقة الذي قدموا من فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة وغيرها، والسنغاليين الذي أجبروا على المشاركة في حرب لا علاقة لهم بها. ومما ميز هذا الحرب، العدد الكبير من القتلى والجرحى والأسرى، الذين جذبوا اهتمام الصحافة الدولية، التي تتبعت أطوار الحرب وكان لها تأثير على بعض أطورها، والمنظمات الدولية التي حاولت التدخل وتقديم المساعدة، سواء للقوات المتحاربة أو للمدنيين المهجرين، ومن بين تلك المنظمات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومنظمات الصليب الأحمر الفرنسية والإسبانية. إن تاريخ العمل الإنساني في حرب الريف لم يكتب، بعد باستثناء بعض الإشارات التي نجدها في بعض المؤلفات التي أرخت للجنة الدولية للصليب الأحمر، لذلك سنحاول من خلال هذه المساهمة الإجابة عن هذه الأسئلة:

- لماذا تأخر تأسيس منظمة الهلال الأحمر المغربي إلى سنة ١٩٥٧؟
- ما هي الجهود التي قامت بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر لمساعدة ضحايا حرب الريف؟
- كيف تدخلت منظمات الصليب الأحمر والإسبانية في حرب الريف؟ هل استفاد المغاربة من تلك التدخلات؟

تهدف هذه المساهمة إلى لفت الانتباه إلى جانب لا يُعرف عنه الكثير، وأعني العمل الإنساني خلال حرب الريف، وكذلك إلى التعريف بوثائق منظمات الصليب الأحمر التي تتضمن معطيات مهمة حول المغرب خلال فترة الحماية.

أولاً: محاولات إنشاء فرع مغربي لمنظمة الصليب الأحمر قبل ١٩٢١

تميزت سنوات حكم السلطان الحسن الأول (١٨٧٣-١٨٩٤) بتصاعد الضغط الاستعماري الأوربي، وباستمرار محاولات الإصلاح، وباستقرار العديد من البعثات الديبلوماسية والأجانب في طنجة. وخلال تلك الفترة، بدأت المحاولات الأولى لتأسيس منظمات تعنى بالإنقاذ البحري والعمل الإنساني، بما في ذلك محاولة إنشاء فرع مغربي لمنظمة الصليب الأحمر وقد استمرت تلك المحاولات إلى ما بعد ١٩١٢، ومرت بمرحلتين.

١/١-المرحلة الأولى

تمتد هذه المرحلة عشرين سنة حكم خلالها السلطان الحسن الأول وابنه مولاي عبد العزيز. وقد تميزت بتصاعد الضغط الاستعماري على المغرب، وبالمحاولات الإصلاحية التي شملت مجالات الجيش والاقتصاد والإدارة. كما شهدت هذه الفترة قدوم مجموعة من الأوربيين من أنصار التغلغل السلمي كان من بينهم الاسبانيان رودولفو بيدال Rodolfo Pidal ممثل شركة ترانس أتلانتيكا، وفيليب أوبيلو Filipe Ovilo عضو الجمعية الأفريقانية الاسبانية. والذين حاولا تأسيس فرع للجمعية الإسبانية للإنقاذ البحري. Sociedad Española de Salvamento de Náufragos ولكن قبل ذلك كان لابد من إقناع السلطان ونائبه في طنجة بجدوى هذا الفرع، وبأنه لن يمثل انتهاكا لسيادة المغرب. وبالفعل تم إنشاء ذلك الفرع، ولكن وفق رؤية مغربية خالصة.[١]

على العموم، قضى الطبيب فيليبي أوبيلو Filipe Ovilo، الذي كانت له ارتباطات قوية باللجنة المركزية للصليب الأحمر الإسباني، سنوات طويلة في طنجة وأسهم في تأسيس العديد من المؤسسات الصحية العصرية في هذه المدينة. نذكر منها:

- مدرسة الطب
- المجلس الصحي
- مستشفى حاييم بن شيمول.
- المستشفى الإسباني
- المستشفى الفرنسي
- مستشفى طولوش ميموريال.[٢]

كون هذا الطبيب العديد من أطباء عسكريين وقادهم في زيارة إلى مدريد سنة ١٨٨٨. وبعد ذلك بأربع سنوات، شارك هو وطلابه في الحملة المخزنية التي

استهدفت قبيلة أنجرة، لعلاج الجنود الجرحى ونال بذلك إشادة من طرف السلطان الحسن الأول.[٣]

خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر، ازدادت حدة الصراع الداخلي في المغرب، وخلال تلك الفترة وجَّه السلطان الحسن الأول، العديد من الحملات العسكرية التي خلفت العديد من الضحايا. وحاول الدكتور فيليب أوبيلو إقناع السلطان بضرورة وجدوى إنشاء مؤسسة على شاكلة الصليب الأحمر، لإغاثة ضحايا الحروب والنزاعات الداخلية، لكن اندلاع الحرب في كوبا، عجل برحيله عن المغرب. مع العلم أنه ظل خلال السنوات اللاحقة عنصرا فاعلا في العلاقات المغربية الإسبانية.[٤]

نفس الفترة، أي أواخر القرن التاسع عشر، تجددت الحرب بين المغرب وإسبانيا على جبهة مليلية، فيما يسمى حرب سيدي ورياش [٥] أو Guerra de Margallo ، فقامت منظمة الصليب الأحمر الإسباني بمراسلة وزارة الخارجية الإسبانية، لاستفسار السلطان مولاي عبد العزيز بخصوص إمكانية الانضمام إلى اتفاقية جنيف، أو على الأقل التعهد باحترام المستشفيات وعربات الإسعاف والأطر الطبية.

وقد حولت وزارة الخارجية الطلب إلى المفوض الإسباني بطنجة إميليو أوخيدا Emilio Ojeda ، الذي التقى في شتنبر من سنة ١٨٩٤ النائب السلطاني محمد الطريس ومساعده محمد اللبادي.[٦]

رد السلطان بأنه يقدر الأعمال الإنسانية التي تضطلع بها منظمة الصليب الأحمر الإسباني، لكنه لن يستطيع تقديم أية ضمانات، لأن الجيش المخزني مكون أساسا من متطوعين قادمين من مختلف القبائل والذين يصعب السيطرة عليهم. [٧] وفي سنة ١٨٩٩، عاودت اللجنة المركزية للصليب الأحمر الإسباني مراسلة وزارة الخارجية، للقيام بمحاولة أخرى لإقناع مولاي عبد العزيز بالموافقة على اتفاقية جنيف،[٨] خصوصًا أنهم كانوا مقتنعين بأنه موافق على مضامين الاتفاقية، لكن السلطان رفض مرة ثانية وأخيرة.[٩]

١/٢-المرحلة الثانية

تمتد المرحلة الثانية من ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٢١، أي من انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء إلى اندلاع حرب الريف، وهي مرحلة تميزت بفقدان المغرب لاستقلاله جزئيًا بعد المؤتمر، وكليًا بعد معاهدة فاس، ثم اندلاع المواجهات المسلحة بين القوات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية من جهة، والمقاومين المغاربة من جهة ثانية، في إطار ما عرف بالتهدئة. [١٠] خلال سنة ١٩٠٨ قام خوليو لوسيو إي نافاس Julio y Navas ، وهو إسباني كان ذا مرتبة رفيعة في منظمة فرسان مالطا، – منظمة دولية تتشابه أهدافها ووسائل عملها مع منظمة الصليب الأحمر – بإحداث ما سمي بـ: "لجنة الصليب الأحمر والإنقاذ البحري" Cruz Roja y Salvamento de Náufragos وقد اتخذت هذه اللجنة من مدينة طنجة مقرًا لها.[١١]

لكن منظمة الصليب الأحمر الإسباني، ووزارة الخارجية الإسبانية، عارضتا تأسيس هذه اللجنة على اعتبار أن تخالف القوانين الإسبانية والمغربية، ومضامين معاهدة جنيف وهذا ما أدى إلى حلها سنة ١٩١١.[١٢] بالنسبة للصليب الأحمر الفرنسي، فقد بدأ نشاطه بالمغرب سنة ١٩٠٧ مع احتلال الدار البيضاء، ومن ثَمَّ واكب تقدم القوات الفرنسية في المغرب، خصوصا بعد فرض الحماية.[١٣] أما الصليب الأحمر الإسباني، فقد بدأ نشاطه في المغرب خلال العقد الأول من القرن العشرين، [١٤] حيث أنشأ صيدلية كانت تقدم الأدوية للمغاربة والأوربيين، كما واكب المواجهات المغربية الإسبانية. وفي سنة ١٩١٧ أسس بتطوان أول مصحة مؤقتة حملت اسم كاسا دي سوكورو (Casa del Socorro)، وكانت تقدم العلاجات المجانية. وخلال سنوات حرب الريف افتتح العديد من المراكز الطبية.[١٥]

ثانيًا: اللجنة الدولية للصليب الأحمر

١/٢-محاولات التدخل الإنساني في حرب الريف

رأينا في المبحث السابق، كيف أن مساعي تأسيس منظمة الهلال الأحمر المغربي لم تحقق أهدافها بسبب مخاوف المخزن، وبسبب معارضة جهات خارجية، على اعتبار أن ذلك يتعارض مع القوانين المغربية والإسبانية ومع مضامين اتفاقية جنيف. لا يمكن الحديث عن اتفاقية جنيف الموقعة يوم ٢٢ غشت ١٨٦٣ من طرف ممثلي ١٢ دولة، بما فيهم إسبانيا. دون الحديث عن

الاتفاقية الخاصة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرية (اتفاقية لاهاي الثانية لسنة ١٩٠٧) والتي جاء فيها: "إذا انتقلت سلطة القوة الشرعية بصورة فعلية إلى يد قوة الاحتلال، يتعين على هذه الأخيرة، قدر الإمكان تحقيق الأمن والنظام العام، وضمانه مع احترام القوانين السارية في البلاد، إلا في حالات الضرورة القصوى التي تحول دون ذلك".[١٦] [١٧]

رغم أن هذه الاتفاقية تضع الدول المُستَعمِرة أمام مسؤولياتها تجاه سكان المناطق والأقاليم المُستعمَرة، لم تثني اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن بذل المزيد من الجهود، حيث كانت القضايا المتعلقة بحماية المدنيين، والأسرى، واللاجئين، والمهجرين، في صلب المؤتمرات التي عقدتها اللجنة الدولية، وخصوصا المؤتمر العاشر المنعقد في الفترة ما بين ٣٠ مارس و٧ أبريل ١٩٢٣ والذي جاء ضمن مقرراته ما يلي: "الصليب الأحمر يعترف بأن جميع ضحايا الحرب الأهلية، أو الاضطرابات المذكورة، لهم الحق في الإغاثة، دون استثناء، وفقًا للمبادئ العامة للصليب الأحمر... في كل بلد يشهد اندلاع الحرب الأهلية، تكون الجمعية الوطنية للصليب الأحمر في هذا البلد هي التي تتحمل في المقام الأول مسؤولية التعامل بشكل شامل مع احتياجات إغاثة هؤلاء الضحايا، ولهذا الغرض، فإنه من الضروري أن تُترك هذه الجمعية حرة في التصرف بكل نزاهة لصالح جميع الضحايا".[١٨]

ويبدو أن المشاركين في المؤتمر كان تساورهم الشكوك في أن بعض الدول والمنظمات ستتقاعس عن القيام بواجباتها تجاه المدنيين، لذلك تركوا الباب للجنة الدولية للصليب الأحمر حرية اختيار الوسائل التي تراها مناسبة لتحقيق أهدافها وآمالها.[١٩] وقد شكلت حرب الريف امتحانًا عسيرًا لإسبانيا، باعتبارها قوة احتلال، وللصليب الأحمر الإسباني، خصوصًا أن المغرب كان واقعًا تحت الحماية الفرنسية – الإسبانية وكذلك للجنة الدولية للصليب الأحمر وللاتفاقيات الدولية.

يذهب الباحث فرانسيسكو خابيير مارتينيث أنطونيو، إلى أن محمد بن عبد الكريم الخطابي حاول ابتداء من شهر يونيو ١٩٢٤الحصول على المساعدات الأجنبية، خصوصًا الطبية منها، ولهذه الغاية كلف لهذه الغاية الحاج عبد الكريم اللوه بالاتصال بمن يمكنه أن يقدم المساعدة، وفي هذا الإطار التقى اللوه بالضابط البريطاني روبرت غوردون Robert Gordon الذي تمكن من إقناع الدكتور إرنست غريفين Ernest Griffinأحد الوجوه البارزة في العمل الإغاثي البريطاني، بالتوجه إلى جنيف وحث اللجنة الدولية على ضرورة تقديم المساعدة العاجلة للساكنة المتضررة.[٢٠]

أما أندري ديرون، مؤلف كتاب تاريخ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، فيرى أن الاهتمام الأوربي بحرب الريف بدأ سنة ١٩٢٣ مع تحرير الأسرى الإسبان، واشتداد الهجمات البرية والجوية التي كانت تشنها القوات الإسبانية على سكان شمال المغرب، ويذهب نفس الباحث إلى أن اللجنة الدولية تلقت أول اقتراح للتدخل في شهر يوليوز من سنة ١٩٢٤، وكان من جمعية بريطانية (Near and Middle East Association) ومن ثَمَّ بدأت الاتصالات بين اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والصليب الأحمر الفرنسي، ونظيره الإسباني الذي كان رده واضحًا:[٢١] "إن الصليب الأحمر الإسباني، بالتنسيق مع الحكومة الإسبانية والمخزن، يرون أنه من غير المناسب أن تتدخل اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتخفيف معاناة الريفيين في ظل العمليات العسكرية الضرورية لاستعادة النظام المختل بواسطة المتمردين، الذين يتجاهلون السلطة القانونية للمخزن المحمي من طرف الحكومة الإسبانية بموجب الاتفاقيات الدولية".[٢٢]

هذا الرد السلبي، لم يثني اللجنة الدولية للصليب الأحمر عند بذل المزيد من الجهود، إذ أرسلت مبعوثا يحمل مطالب اللجنة زار كل من باريس ومدريد والتقى بالمسؤولين عسكريين وديبلوماسيين، وخلال هذه الزيارة تلقى وعدا بأن الصليب الأحمر الإسباني سينظم بعثات طبية إلى مناطق المتضررة من المواجهات العسكرية لكن ذلك لم يتحقق.[٢٣]

تلقت اللجنة الدولية مزيدًا من المطالب والمناشدات خلال سنة ١٩٢٥ كان مصدرها الصليب الأحمر الألماني، والصليب الأحمر السويدي، اللذين كانا منشغلين بمصير المفقودين من الألمان والسويديين، والهلال الأحمر التركي الذين أراد إرسال بعثة ميدانية بتقديم المساعدة. وقد

استغلت اللجنة الدولية الاجتماع السادس للجمعية العامة لعصبة الأمم فأعاد رئيسها طرح الموضوع مع الوزير الخارجية الفرنسي، ومع ممثل إسبانيا في الاجتماع ومرة أخرى حصلت اللجنة على مزيد من الوعود المعلقة.[٢٤]

أمام التماطل والتجاهل الإسباني الفرنسي، قررت اللجنة إرسال مندوب إلى منطقة طنجة ذات النظام الدولي للوقوف على حقيقة ما يجري في المغرب.

٢/٢-زيارة مبعوث اللجنة الدولية للصليب الأحمر هنري مونتا لمدينة طنجة للاطلاع على أحول اللاجئين والمهجرين

حل المحامي السويسري وندوب اللجنة الدولية للصليب الأحمر، هنري مونتا بالمغرب يوم ٢٨ نونبر ١٩٢٥ وغادره في السادس من الشهر الموالي، وكان الهدف من زيارته إعداد تقرير عن وضع المغاربة المتضررين من الحرب، خصوصا اللاجئين في منطقة طنجة. وعقد لقاءات مع المؤسسات الإنسانية العاملة في المدينة، ومع المقيم العام الفرنسي.[٢٥] وبالفعل تمكن من زيارة المدينة، والاطلاع على أحوال سكانها من المغاربة. كما التقى بعدد من العاملين في المجال الإنساني، كما هو واضح في الجدول التالي. في حين أن زيارته إلى الرباط يوم ٤ دجنبر على أية تثمر أية نتيجة، لأن المقيم العام الفرنسي ستيغ Steeg[٢٦] كان في زيارة لفرنسا.[٢٧]

جدول رقم (١)
يوضح المؤسسات التي زارها هنري مونتا في طنجة وطبيعة الخدمات التي كانت تقدمها.

المؤسسة	الدولة	المسؤول الذي استقبل هنري مونتا	الخدمات المقدمة	الفئة المستفيدة
معهد باستور[٢٨]	فرنسا	الدكتور ريميلغيز		
الصليب الأحمر الفرنسي	فرنسا		العمليات الجراحية	الجنود الإسبان
المستشفى الفرنسي	فرنسا	الدكتور فوراز	العمليات الجراحية	جل المستفيدين من الفرنسيين وعدد محدود من المغاربة
الصليب الأحمر الإسباني	إسبانيا		أنشطة هامشية محدودة	
المستشفى الإسباني	إسبانيا		القيام بالعمليات الجراحية	الإسبان وعدد محدود من المغاربة
مستشفى هوب هاوس	المملكة المتحدة	الدكتور لايلي	تقديم العلاجات	المغاربة
مؤسسة دراموند هاي	المملكة		تقديم المساعدات	المغاربة

المؤسسة	الدولة	المسؤول الذي استقبل هنري مونتا	الخدمات المقدمة	الفئة المستفيدة
	المتحدة		للفقراء والمعدمين	
الهلال الأحمر البريطاني	المملكة المتحدة		تقديم التبرعات للجمعيات والمنظمات العاملة في طنجة	المغاربة
دار الأيتام إيلسون	الولايات المتحدة	السيد إيلسون	رعاية ٥٠ يتيما ثلاثون منهم مغاربة بالإضافة إلى إيواء المشردين ليلاً. توزيع الدقيق يومي الثلاثاء والجمعة.	المغاربة
مؤسسات خيرية إسلامية	المغرب		توزيع ١٥٠ خبزة يوميا ومساعدات مالية قدرها ١٥٠٠ فرنك أسبوعيا.	المغاربة.

المصدر:

Henri MENTHA, Mission à Tanger, Revue Internationale de la Croix-Rouge, Septième année, N° 84. Décembre 1925

رغم أن السيد هنري مونتا كان ينتقي كلماته بدقة محاولاً التخفيف من هول ما رأى، إلا أنه من الواضح أن طنجة كانت تعيش كارثة إنسانية بكل المقاييس وقد حدد عدد اللاجئين في حوالي ٤٠٠٠ لاجئ، مع العلم أن سكان طنجة آنذاك كانوا في حدود ٦٠,٠٠٠ وهو يرى أن معظم هؤلاء من القبائل المجاورة، وخصوصًا أنجرة، وبعض الفارين من الريف، وكلهم لا يمكنهم العودة، لخوفهم من انتقام الإسبا. ومما جاء تقريره ما يلي: "لا توجد قضية للاجئين كما هو معتاد، بل هي جزء من بؤس طنجة. هناك لاجئون، بالطبع، لكن من الصعب جدًا تحديد عددهم، فهم مندمجون بين سكانها الأصليين، ففي حين يعيش بعضهم من أقاربه، يعيش آخرون مع أصدقائهم ومعارفهم، ومن المستحيل حصر أعدادهم بدقة حيث إن عددًا مهمًا منهم عبروا الخطوط الدفاعية واستحال عليهم العودة إلى ديارهم".[٢٩]

أما عدد الجرحى المغاربة الذين الذي كانوا يتلقون العلاج في مجموع المراكز العلاجية التي زارها، ففي حدود ٢٠٠ شخص. ونسبة كبيرة منهم من النساء اللواتي عبرن الخطوط الدفاعية الإسبانية ليلا لبيع السلع في أسواق طنجة، لكن تم استهدافهن بالرصاص.[٣٠] ويخلص مندوب اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى أن قصر زيارته، واقتصارها على طنجة، وعدم إلمامه باللغة العربية حال دون إنجازه تقريرا شاملا ووافيا حول وقع معارك حرب الريف على السكان. ويرى أن هناك الكثير من المعيقات التي تعرقل عمل اللجنة الدولية في المغرب وأن عليها الانتظار إلى أن تنتهي المعارك.[٣١]

خلال الشهور اللاحقة لزيارة مونتا تمكن أحد المراسلين الصحفيين السويديين من الوصول الى الريف، والتقى بمحمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي حمَّله رسالة إلى الأمير كارل [٣٢] مما جاء فيها: "إن الأمة الريفية ضعيفة ولا يصلها أي دعم أو مساعدة، وهي معزولة عن العالم وبدون تواصل مع أشخاص مثل سموك لطرح قضيتها على الرحماء وأولئك الذين يدافعون عن الإنسانية. إذا كان سموك قادرًا على تقديم

بعض المساعدة لجرحانا، الذين يعانون من عدم توفر الرعاية ولا يمتلكون سوى الصبر، فإنك بذلك ستقدم خدمة إنسانية جليلة".[٣٣]

فما كان من الأمير كارل إلى أن وجه الرسالة إلى اللجنة الدولية التي قررت أن الوقت قد حان للتدخل، فبدأ الاستعداد لتوجيه بعثة إلى مناطق الريف المتضررة من الحرب، في هذه الأثناء كانت البعثة الطبية التي أرسلها الاتحاد الوطني الفرنسي لقدماء المحاربين ومعطوبي الحرب متوجهة إلى الريف.[٣٤] وفي ٢٣ ماي ١٩٢٦ ، حمل بيير بارون Pierre Parent أحد المشاركين في بعثة أرسلها الاتحاد الوطني الفرنسي لقدماء المحاربين ومعطوبي الحرب، رسالة إلى المقيم السامي الفرنسي والى الجنرال سان خورخو Sanjurjo،[٣٥] بخصوص استسلام الخطابي وهو الخبر الذي جرى تعميمه يوم ٢٨ من نفس الشهر، وبسبب ذلك تم إلغاء بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر.[٣٦]

لم تستطع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ولا المنظمات الأخرى التي أشرنا إليها سابقًا التدخل إنسانيًا في حرب الريف، وتقديم المساعدة لضحاياها بسبب تعنت السلطات الإسبانية، لكن هذه الحرب في المقابل، شكلت محطة مهمة ساعدت على تطوير أساليب التدخل في المستعمرات، وعلى ابتكار أساليب جديدة في التدخل الإنساني تقوم أساسًا على التعامل مع المنظمات المحلية، وعلى تنسيق الجهود مع منظمات الصليب الأحمر المختلفة.

ثالثًا: منظمة الصليب الأحمر الإسباني

٣/١-الإمكانات اللوجستية لمنظمة الصليب الأحمر الإسباني

بدأ الصليب الأحمر الإسباني نشاطه في المغرب خلال العقد الأول من القرن العشرين، حيث أنشأ صيدلية كانت تقدم الأدوية للمغاربة والأوربيين، وتعزز حضوره مع تقدم القوات الاستعمارية الإسبانية، واحتدام المواجهات العسكرية في الشمال الشرقي قرب مدينة مليلية المحتلة في سياق ما عرف باسم حرب مليلية الثانية.[٣٧] إلا أن تأسيس أول مصحة تأخر إلى سنة ١٩١٧، وكان مقرها مدينة تطوان عاصمة المنطقة الإسبانية، ومن المرجح أنها كانت عبارة عن مستشفى ميداني مؤقت والسبب في ذلك هو قرب تطوان من سبتة التي توفرت فيها هذه المنظمة على مستشفى متطور.

خلال سنوات حرب الريف، وتحت إشراف الدوقة Maria del Carmen de Angolotiمارية ديل كارمين دي أنغلوتي توسعت أنشطة الصليب الأحمر الإسباني في منطقة الحماية الإسبانية، فتم إقامة العديد من المستشفيات حتى بلغ عددها ٣٦ مستشفى كما توسعت الخدمات الصحية وخصوصًا في تطوان والعرائش ومليلية.[٣٨] وكان لمنظمة الصليب الأحمر الإسباني دور بارز في تطوير اللوجستيكي لعمليات الإسعاف خلال الحرب، حيث توفرت قطارات للإسعاف، وعلى سفينة مستشفى، وسيارات إسعاف تسير على السكك الحديدية، كما كان أول منظمة إنسانية وصحية توظف الطائرات في عمليات الإنقاذ[٣٩] كما كان لها مركز خاص للنقاهة بالجزر الجعفرية خصص للجنود الذين خضعوا لعمليات جراحية، بحيث كانوا يقضون به عددًا من الأسابيع إلى أن يتماثلوا للشفاء.[٤٠]

وقد شكلت قضية الأسرى الذين وقعوا في قبضة المقاومة الريفية، بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد معركة أنوال (١٧ يوليوز ١٩٢١)، أهم تحدي واجه منظمة الصليب الأحمر الإسباني، لكن هذه المنظمة لم تستطع تحرير الأسرى، ربما لأنها لم تحظ بثقة قيادة المقاومة الريفية. فتم اللجوء إلى وسيط هو إدريس بن سعيد، الذي[٤١] تمكن من إقناع الطرفين فتم تحرير الأسرى الإسبان مقابل ٤ مليون بسيطة إسبانية، وإطلاق سراح عدد غير محدد من أسرى المغاربة لدى القوات الإسبانية، وقد تسلم الصليب الأحمر الإسباني الأسرى الإسبان خصوصًا أن بعضهم كان في حالة صحية صعبة.[٤٢] ولإعطاء فكرة عن إمكانيات وأدوار مستشفيات منظمة الصليب الأحمر الإسباني بالمغرب، سنأخذ مؤسسة واحدة نتوفر على معلومات كافية عنها هي مستشفى تطوان على سبيل المثال.

٣/٢-مستشفى الصليب الأحمر الإسباني خلال حرب الريف

تأسس مستشفى الصليب الأحمر بتطوان بمبادرة من Victoria Eugenia الملكة فيكتوريا أوخينيا، زوجة الملك ألفونسو الثالث عشر Alfonso XIII، ورئيسة

الصليب الأحمر الإسباني آنذاك، واستمر في تقديم خدماته من شهر شتنبر ١٩٢٤ إلى شهر غشت من السنة الموالية، وإلى جانبه تم افتتح مدرسة للتمريض، ومكتبة. أما عن طاقمه فقد تشكل من أطباء عسكريين متطوعين، في حين أن ممرضاته كن راهبات من رهبانية هيرماناس دي لا كاريداد Hermanas de la caridad. اعتمد المستشفى بشكل كامل على التبرعات، التي كان يتلقها من المتبرعين ومن المؤسسات الإسبانية المختلفة، وعلى وجه الإجمال توصل المستشفى خلال أحد عشر شهرا ما قيمته ٢٧٣,٠٠٠ بسيطة إسبانية في حين بلغت نفاقاته ٢٠٧,٠٠٠.[٤٣]

أما عن الأدوار التي قام بها هذا أطر هذا المستشفى فهي:

- إخلاء المصابين من ميادين القتال:

كان إخلاء المصابين من ميادين القتال، من أهم المهام التي قامت بها الأطر الطبية خلال حرب الريف، ويبدو من خلال الجدول التالي، أن عدد هؤلاء كان مرتفعًا لأن المواجهات كانت محتدمة على عدة جبهات وخصوصًا في جبل غورغير، ودار بن قريش، وبني حسان، وشفشاون.

جدول رقم (٢)

يوضح أعداد الجنود المصابين الذين تم إخلاؤهم من طرف الطبية التابعة لمستشفى الهلال الأحمر بتطوان في الفترة ما بين أكتوبر ١٩٢٤ وغشت ١٩٢٥

الشهر	عدد المصابين الذين جرى إخلائهم
أكتوبر	٨٥٤
نونبر	١٦٦١
دجنبر	٢٠٣٤
يناير	٧٨١
فبراير	معطيات غير متوفرة
مارس	٧٦
أبريل	معطيات غير متوفرة
ماي	معطيات غير متوفرة
يونيو	٢٩٩
يوليوز	٦٥٧
غشت	٢٥٦
المجموع	٤٨١٨

المصدر:

Cruz roja Española, Memoria del hospital de la cruz roja de Tetuán, 1924 a 1925. P 56.

- تقديم العلاجات:

تكفل المستشفى بتقديم العلاجات للجنود والضباط الجرحى الذين كان يتم إجلاؤهم من ساحات المعارك، وعادة ما كان يعاني هؤلاء من إصابات متفاوتة الخطورة، وبالإضافة إلى هؤلاء الذين كانوا يخضعون لعمليات جراحية لاستخراج القذائف والشظايا وعلاج الكسور، كان المستشفى يقدم العلاج للمرضى، لكن هؤلاء شكلوا نسبة ضعيفة جدا.

الجدول الموالي، يكشف عن عدد المصابين الذين استقبلهم المستشفى، هذه الأرقام الكبيرة تبين مدى شدة المقاومة.

جدول رقم (٣)

عدد الضباط والجنود المصابين الذين تلقوا العلاج في مستشفى الصليب الأحمر بتطوان في الفترة ما بين أكتوبر ١٩٢٤ وغشت ١٩٢٥

الشهر	عدد من تلقوا العلاج من الضباط	عدد من تلقوا العلاج من الجنود
أكتوبر	٤٣٠	١٩٥٨
نونبر	٧٤٥	٥٤٩
دجنبر	٥٢٣	١٥١٧
يناير	٣٥٨	١٥٥٣
فبراير	١٧٧	٧٢١
مارس	٨١	٦٧٣
أبريل	٢٠٣	٥٨٨
ماي	١٨٦	٦٥٩
يونيو	٣٤	١١٥٦
يوليوز	معطيات غير متوفرة	٣٧٧
غشت	معطيات غير متوفرة	٥٧
المجموع	٢٧٣٧	٩٨٠٨
المجموع الكلي		١٢٥٤٥

المصدر:

Cruz Roja Española, Memoria del hospital de la cruz roja de Tetuán, 1924 a 1925. P 57.

- المشاركة في مراسيم إقبار الجنود المتوفين:

بالإضافة الى ما سبق، قام العاملون في مستشفى الصليب الأحمر الإسباني، بالمشاركة في مراسيم دفن الجنود الذي سقطوا قتلى المعارك، والجنود الذين توفوا نتيجة الإصابات الخطيرة، هذا إلى جانب أنشطة أخرى كانت تنظم في المستشفى كتنظيم الاحتفالات الدينية، وزيارة الفقراء، ومساعدتهم ماديًا، ومعنويًا.[٤٤]

لقد توفر الصليب الأحمر الإسباني على إمكانيات مالية ولوجستيكية مهمة، بل إنه كان رائدًا في استخدام وسائل لم تسبقه إليها دولة، ولا منظمة إغاثية، لكن كل جهوده كانت مخصصة للجنود الإسبان في حين كان على المغاربة اللجوء إلى الطب التقليدي وهو ما كان يتسبب في الموت وفي الإعاقة الدائمة.[٤٥] ويفسر هذا الأمر، بما أورده الباحث باسكال دودان حيث أورد ما يلي: "أثارت حرب الريف، رد فعل باهت في إسبانيا، لأن الجمهور كان لا يزال يؤمن بشدة بأنه يجب بذل كل جهد لمحاربة ومعاقبة "الشعوب المتخلفة"، التي تلجأ إلى السلاح ضد "القوى المدنية المتحضرة"... لقد كانت العقلية الإسبانية مختلفة تمامًا عن تلك التي أدت إلى "الأسبوع المأساوي" في برشلونة في عام ١٩٠٩، حيث تحولت الاحتجاجات على إرسال الجنود إلى المغرب إلى عدة أيام من الاضطرابات العنيفة للغاية في المدينة".[٤٦]

خَاتِمَةٌ

نخلص من خلال ما سبق، إلى أن عدم تأسيس فرع مغربي لمنظمات الصليب والهلال الأحمر قبل ١٩١٢، يعود بشكل أساسي إلى معارضة الدولة المغربية ممثلة في سلاطين تلك الفترة، وخصوصًا الحسن الأول ومولاي عبد العزيز، الذين رأوا في ذلك بابًا آخر للتسرب الاستعماري، وسيلة إضافية قد تستفيد منها القوى الاستعمارية في زيادة الضغط على المغرب.

أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومعها العديد من المنظمات الإنسانية، حاولت مد يد المساعدة للمغاربة ضحايا الحرب، لكنها اصطدمت بتعنت السلطات الإسبانية والفرنسية، التي منعتها من القيام بأي تدخلات في المنطقتين الإسبانية والفرنسية، ليقتصر نشاطها في منطقة طنجة الدولية، التي كان سكانها المغاربة اللاجئون والأصليون في حالة يُرثى لها، كما صرح بذلك مبعوث اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدكتور هنري مونتا.

أما منظمة الصليب الأحمر الإسباني، التي كان لها حضور قوي في الميدان بفضل ما توفرت عليه من إمكانيات مهمة، فقد اقتصر عملها على إسعاف ومعالجة جرحى ومرضى الجيش الإسباني ومعالجتهم، في حين لم تحظ بثقة المغاربة ولم توفر لهم أدنى مساعدة.

وختامًا، نرى أنه لابد من تعميق البحث في المآسي التي نجمت عن حرب الريف، فمن شأن ذلك أن يساعد على شفاء جروح التي خلفتها، كما صرح بذلك جوزيف بوريل وزير الخارجية الإسباني سنة ١٩١٨.

الإحالات المرجعية:

(1) Martínez-Antonio, F. J. (2014). Resilient modernisation: Morocco's agency in Red Cross projects from Hassan I to the Rif Republic, 1886-1926. *Asclepio*, 66(1). P 3.

(2) Ibid., 4.

(3) Ibid., 5.

(4) Ibid., 5.

(٥) سلسلة من المواجهات العسكرية التي وقعت سنتي ١٨٩٣ و١٨٩٤ بين الجيش الإسباني من جهة وبين عدد من قبائل الريف الشرقي بسبب استفزازات الاسبانية.

(6) Martínez-Antonio, F. J. (2014). *Op.cit.*, 6.

(7) Ibid., 7.

(٨) اتفاقية جنيف الأولى لتحسين حال جرحى الجيوش في الميدان وقعت في ٢٢ غشت ١٨٦٤ من طرف ١٢ دولة بما فيها إسبانيا.

(9) Martínez-Antonio, F. J. (2014). *Op.cit.*, 7.

(10) Martínez-Antonio, F. J. (2016). Estado de necesidad: la Cruz Roja Española en Marruecos, 1886-1927. *História, Ciências, Saúde – Manguinhos*, 23(3), 871.

(11) Martínez-Antonio, F. J. (2014). *Op.cit.*, 5.

(12) Ibid.

(١٣) من الجدير بالذكر أن منظمة الصليب الأحمر الفرنسي كان لها إسهام كبير في حرب الريف إلى أن أجلنا البحث في مساهمتها إلى دراسة لاحقة.

(١٤) ما نشاطه في مدينتي سبتة ومليلية المحتلتين فيعود إلى أواخر القرن ١٩.

(15) Martínez, F. J. (2014). *Op.cit.*, 6.

(١٦) زهرة الهياض، القواعد الأساسية لحماية ضحايا النزاعات المسلحة المعاصرة، منشورات وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ٦٣.

(١٧) كانت الزعمات المغربية على اطلاع على مضامين هذه الاتفاقيات وما تنص عليه من حقوق وواجبات. انظر على سبيل المثال كتاب محمد بن عبد الكريم الخطابي، **مذكرات لاريونيون**، تحقيق تعليق وتقديم عبد المجيد العزوزي وآخرون، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى ٢٠١٧، ص ٩٤.

(18) Résolutions et vœux de la X -ème Conférence internationale de la Croix-Rouge. (04-1921). *Revue Internationale de la Croix-Rouge et Bulletin international des Sociétés de la Croix-Rouge*, 338.

(19) Durant, A. (1978). *Histoire du Comité international de la Croix Rouge - Tome 2, De Sarajevo à Hiroshima.* Genève: Institut Henri-Dunant, 1978, 197-200.

(20) Martínez-Antonio, F. J. (2014). *Op.cit.,* 7

(21) Durant. A, (1978). *Op.cit.* 198.

(22) Ibid.

(23) Ibid., 199.

(24) Ibid., 200.

(25) Mentha, H. (Décembre 1925). Mission à Tanger. *Revue internationale de la Croix-Rouge*, Septième année, N° 84, 971-981

(٢٦) تيودور ستيغ: شغل منصب المقيم العام الفرنسي بالمغرب فيما بين أكتوبر ١٩٢٥ ويناير ١٩٢٩.

(27) Ibid., 973.

(٢٨) انظر ما أورده الباحث بوجمعة رويان عن هذه المؤسسة في كتابة **الطب الكولونيالي بالمغرب ١٩١٢ -١٩٥٦**، مطابع الرباط نت، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص ٢٨٥.

(29) Mentha. H. (Décembre 1925). Mission à Tanger. *Op.cit.* 973.

(30) Ibid., 974.

(31) Ibid.,981.

(٣٢) الأمير كارل ، دوق فسترغوتلاند، أحد أفراد الأسرة الملكية السويدية (١٨٦١-١٩٥١).

(33) Durant. A, (1978). *Op.cit.* 200.

(34) Martínez, F. J (2016). *Op.cit.* P

(٣٥) خوسي سان خوخو: المندوب السامي الإسباني في المغرب في الفترة مابين نونبر ١٩٢٥ ونونبر ١٩٢٨.

(36) *Au riff. (1926). Revue Internationale de la Croix-Rouge et Bulletin international des Sociétés de la Croix-Rouge, 30.*

(٣٧) سلسلة من الموجهات العسكرية بين القوات الاسبانية وقبائل الريف الشرقي بقيادة الشريف أمزيان والتي وقعت في ما بين يوليوز و دجنبر من سنة ١٩٠٩ بسبب محاولة مد خطوط السكك الحديدية بين مليلية المحتلة ومناجم الحديد.

(38) Martínez-Antonio, F. J. (2016). 875.

(39) Riesgo, J.M. (2022). La modernización del Cuerpo de Sanidad Militar basada en las experiencias de la Primera Guerra Mundial. *Reacción y Renovación*, Museo del Ejército, 153.

(٤٠) كارلوس إيسكمبري إينوخو، **الجزر الجعفرية خلال القرن العشرين**، ترجمة محمد عبد المومن، دورية كان التاريخية، العدد ٤٥، ص ١٤١.

(٤١) خوسي كاساريس لوكاس، **ومضات مضيئة عن الحرب الريفية**، تعريب وتعليق محمد بن عزوز حكيم، الرباط، ١٩٨٦، ص ٣٧.

(42) *Le rachat des prisonniers au Maroc. (03-1923). Revue Internationale de la Croix-Rouge et Bulletin international des Sociétés de la Croix-Rouge, 253.*

(43) Cruz roja española, Memoria del hospital de la Cruz Roja de Tetuán, 1924 à 1925. 60.

(44) Cruz roja española, Memoria del hospital, *Op.cit.* P 51.

(٤٥) العياشي المريني، **صفحات من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة**، المطابع المغربية والدولية، طنجة، الجزء الثاني، ص ٦٢ و ص ٦٥.

(46) Daudin, P. (2023). The Rif War: A forgotten war? *International Review of the Red Cross*, 105(923), 937.